

وكانها قد بلغت مرتبة القداسة، فجدل لا يفيد فتياً في خدمة العربية. وإنما هو جهد نظري، يستهلك العقول، دون إنجاز بدائل. سيظل النحو العربي رابطاً ضرورياً للعربي بلغته، في نصوصها التراثية، وفي تواصله بها على امتداد العالم المتحدث بها، ومرجعية ذهنية للتفاهم بهذه اللغة، التي لا نظير لها في العالم؛ لا نقول هذا لأسباب دينية فحسب، ولكن أيضاً لأنها لغة حملت تراثاً إنسانياً طويلاً، وكونت روابط شتى، في تجربة تاريخية بالغة التعقيد، من حماقة التفكير في تفكيكها.

سيظل النحو العربي - إن عدّ شراً - شراً لا بد منه ولا مفر عنه. إلا إن تخليتها عن كل تلك الشبكة من العلاقات الثقافية والحضارية التي امتدت مئات السنين، وهذا ما لا يقول به عاقل، اللهم في مخاضات من الترف الذهني، والهرطقة المآبنة التي لا تقيس الأرباح والخسائر. ولا أشبه بتشدّد بعض منتطعي النحاة هنا من تهويل الداعين بالويل والثبور وعظائم الأمور من صعوبة قواعد اللغة العربية. وهي صعوبة تزداد في حقيقة الأمر عن عدم تربية الناشئة على النصوص، وإلا فكل يعرف كثيراً ممن نشأوا تلك النشأة اللغوية السليمة، أي على القرآن الكريم، وعلى النصوص العربية الرفيعة، فعدت قواعد اللغة تسري على ألسنتهم تلقائية، دون أن يعرفوا ما الفاعل وما المفعول؟ فيما أساتذة نحو ولغة في الجامعات، ممن لم ينشأوا تلك النشأة اللغوية الصحيحة، لا يكادون يحسنون حديثاً، أو حتى كتابة، دون التعرّف واللحن. ما يعني أن العلاج هو في تحويل اللغة إلى منهاج من التلقّي النصوصي والممارسة الحية، لا إلى طلاس من القواعد والتلقين.

من جانب آخر، فإن من يتصور أن قواعد غير العربية سهلة، تديّة، مرنة، متسامحة، وغير متحرّجة، ما هو إلا وهم أو مغالط. فلا أشد صرامة من الإنجليزية مثلاً في قواعدها، ولا أعجب من منطق بعض مسلماتها التي لا مجال لمناقشتها مع أساتذة نحوها؛ فهي خاضعة كما يقولون لمنطق اللغة الذي هو بلا منطق قابل للإيضاح أو التعليل. ولا تقارن بحال - الطاقة الإبداعية القواعدية الكامنة في العربية، والمساحة المتاحة للمتحدث بها للتصرف بلغته وتشكيلها، على قدر ملكته اللغوية، بتلكم القضان الحديدية التي يُقذف فيها المتحدث بالإنجليزية، حتى إنه لو حاول الابتكار والتوليد في استعمالاته اليومية أو غير اليومية كما بإمكان مستعمل العربية أن يفعل، لقبول بالاستنكار، والتفريع لمخالفتها أنماطها الثابتة، التي لا مجال لتغييرها، وإن أذى غيرها معناها نفسه وبلغة إنجليزية سليمة.

إن اللغة العربية مهرة عربية أصيلة يستطيع فارسها التحكّم فيها كيف شاء، في حين أن لغة كالإنجليزية لغة تحكم صاحبها ولا يحكمها.

- الرياض

aalfaiyf@yahoo.com
http://alfaiyf.cjb.net

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS تبدأ برقم الكاتب «5151» ثم أرسلها إلى الكود 82244

مسابقات

د. عبدالله بن أحمد الفيافي



في النحو واللغة

منها بعد الإسلام سداً لباب المؤثرات الأجنبية، بعد أن أصبحت الحجاز مهوى أفئدة البشر من عرب وعجم، وإن لم تكن تخلو من اختلاط الأعراف قبل الإسلام كذلك - كما لم ير اللغويون والنحاة جواز إهمال لغة نجد الشعرية، وإن تجنّبوا لغة جنوب الجزيرة وشرقها وشمالها للأسباب نفسها التي رأوها في شأن الحجاز بعد ظهور الإسلام. وهكذا أرادوا أن يجمعوا بيض اللغة في سلّة واحدة، أن يجمعوا بين لغة القرآن الحجازية القرشية - في معظمها على الأقل - ولغة الشعر النجدية، وذلك في لغة واحدة جامعة، لها قواعد منضبطة، لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً، فوق الاضطراب ولم يستقم الأمر لهم كل الاستقامة. وهكذا ظلّ بنيانهم هيكلاً نظرياً، صارم المنطق، كان أول من أظهر التمرد على قوانينه الشعراء، منذ الفرزدق ومن تلاه من شعراء البادية والحاضرة.

٢، أن مناقسة النحاة فيما بينهم من جهة، وجمود مناهجهم من جهة أخرى، قد حالاً دون استصفاء قواعد منضبطة ميسرة.

لقد كان يجب - في تقدير العلم والعقل - أن يستقر علماء اللغة والنحو في تقعيدهم على لغة بقعة جغرافية محدّدة، كأن تكون لغة الحجاز، وعلى نصّ واحد كأن يكون القرآن، يبنون عليه قواعد العربية الرئيسية. ولا سيما أن لغة الشعر هي لغة حرة، ومجاز، وكسر للسائد، وأول ذلك السائد اللغوي، فضلاً عن أنه، كما قالوا بأنفسهم: يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره، بحكم الشعرية أولاً، ثم بحكم ضرورات الأوزان والقوافي. كان يمكن أن تكون هذه هي السبيل، ومن شاء أن يحوّض في غير ذلك، متجنّحاً في غمار اللهجات والاختلافات، فذلك شأنه. وهو ما يمكن - من وجهة نظرية - أن يُفعل اليوم إن أريد للعربية أن تخرج من طريقها الوعر الذي سلكته والشعاب التي تسلكها يوماً إثر يوم.

أما الجدل البيزنطي الدائر بين الداعين إلى الثورة الجذرية على النظرية النحوية - منذ ابن مضاء القرطبي - وبين المحافظين على قوالب النحو بحذافيرها،

ألحنا في نهاية المساق السابق إلى أن ذكّرت الإنسان العربي المديئة بعقد تعلم اللغة العربية، ومعاناته من مناهجها، أو مع مدرّسيها، وشعوره حين يكبر بالعبي في التعبير، والخطل في الكتابة، وكثرة اللحن النحوي، والخط اللغوي، مع ما يسببه له ذلك من حرج في الأوساط الثقافية، وفشل في المناسبات الاجتماعية، فضلاً عن إحساس بالضالة تعبيرياً مقارنة بمتحدثي اللغات الأخرى، كل تلك العوامل النفسية تجعل حامل هذا العبء (السيزيفي) ذا حافز لا شعوري مضادّ للغة، يتحوّل مع الزمن إلى موقف فكري منها، هو في بنيته العميقة دفاع فطري عن الذات، وكل إناء بما فيه ينضح، وكلّ ضعيف أو مستضعف لديه نزوع غريزي قوي نحو المدافعة. فهو قد يسقط التبعية على اللغة العربية نفسها، وما فيها من تضخم مرضي، راكمه الشعر عبر العصور، مما لا نظير له في لغات أخرى، أو يسقطها على النحو والنحاة: على رأس الخليل بن أحمد الفراهيدي، على رأس سيوييه، أو يسقطها على الحرف العربي، أو المصطلح، أو المعجم، أو مجامع اللغة... أو أو أو، أي شيء - عدا نفسه هو - كي يستشعر البراءة والراحة النفسية. هذا إلى جانب عقد النقص الجمعية، المتعلقة لدينا بالبعد الحضاري الذي نستشعر فارقاً بيننا وبين الأمم المتقدمة علينا في العصر الحديث.

لا يُنزع أحد في صعوبة اللغة العربية، وإن كانت، بالمقارنة، من أسهل اللغات إن لم تكن أسهلها، لولا عوامل منهاجية وتعليمية وحضارية. برهان هذا أنها لو لم تكن من أسهل اللغات في طبيعتها لما غزت العالم شرقاً وغرباً في الماضي، وأثّرت في اللغات الأخرى تأثيراً عميقاً جداً، معجماً وبناء جملة، على الرغم من عدم وجود معاهد تنشرها، ولا تقنية تفرّضها، ولا إعلام يشيعها، كما هو الحال اليوم في الاستنفاق المسخر في كل المعمورة لخدمة اللغة الإنجليزية، مما لم يسبق له مثيل في التاريخ.

لنا أن نخيل اليوم لو أن الإمكانات التي جعلت في خدمة اللغة الإنجليزية، والأموال المكرسة لإذاعتها وترسيخها، قد تهبّت بالقدر نفسه أو ببعضه للعربية، أكانت الشعوب من غير أبناء العربية سيعانون في تعلم العربية معاناتهم الكابوسية في تعلم الإنجليزية، اللغة المجنونة، كما يصفها أهلها؟! إن غير العربي، وغير المسلم، يتعلّمان العربية في بضع دورات، فإذا هما يتحدّثانها بكفاءة تيز كفاءة العربي، وبقواعد سليمة طيّعة، لولا ما يصدّهما من أن العرب أنفسهم غارقون في لهجاتهم العامية، لا يفهمون ولا يفهمون بالفصحى إلا بتعثر مخجل. أما صعوبة اللغة العربية وصعوبة قواعدها لدى ناشئتنا فمصدرها أمران:

١، أن القواعد كانت قد أقيمت منذ أقيمت على أساس أكثر من لغة (أو لهجة عربية)؛ إذ إن الجزيرة العربية لم تكن وحدة اجتماعية واحدة، ولم تكن لغتها لغة واحدة، على الرغم مما يقال حول ما أحدثته الأسواق الأدبية قبيل الإسلام من تشكّل لغة أدبية جامعة، فلقد ظل دور تلك الأسواق دوراً أدبياً، لا أكثر. وكانت أبرز تلك اللهجات المعترف بها لدى علماء اللغة القديما لغتاً الحجاز ونجد. إذ لم يكن بالإمكان أن يهمل اللغويون لغة الحجاز القرآنية - وإن كانوا قد تحاشوا كثيراً

معجم موازين اللغة

صالح بن سعد اللحيدان



مداخلات

□ شيخنا صالح اللحيدان بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أستميحك في نقاش لا أعدم أنا فائدته، فأنتم ذكرتم في باب (سابق من المعجم) أن حديث: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) أنه ضعيف وحين عدت إلى الإمام الطبراني رأيت قد رواه.. (الطبراني) إمام من أئمة الحديث ولعله وأنتم تعلمون هذا يلتقي مع كثير من الأئمة الستة في رواية كثيرين.

هذا ما أحببت نقاشه، وأني أنا المستفيد.

أ.د أحمد محمد زهاي المشاط - الأردن

- الرأي: أقدّر لعلم مثلكم جمع بين اللغة والنقد وكتب فيهما فإذا قيل من؟ قيل: المشاط وإنما: أحمد بن محمد هو ذلك.. نعم الحديث ضعيف ورواه الطبراني ورمز لضعفه ثم قال: ومعناه صحيح قلت: هو ضعيف لعله السندي، فسندّه ليس بقوي ولا عبارة بمن يستشهد به من كتبه الأدب والنقد فجلهم اليوم يحطب ليلاً ويذكرون الضعيف وما لا أصل له ويذكرون الحكمة والمثل ينسبونهما إلى أنهما من الحديث الصحيح. شكر الله لك ورفع قدرك.

□ حضرة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد اللحيدان يحفظه الله.. السلام على فضيلتكم ورحمة الله وبركاته أرجو الله - جلّت قدرته - أن تكونوا بخير ومنعة.

أشير إلى (فضاءات) الاثنين ٥ صفر ١٤٢٩ هـ:

- ١- بداية الفقرة الثانية: (وأبعر - بضم العين مفردة بعير). وأقول: لعلها (أبعر) جمع مفردة (بعير) كـ (سبعة أبحر، سبعة أعظم)، ولعلني - كما قال الشافعي: رأيي خطأ يحتمل الصواب. أفادكم الله.
- ٢- هل هناك من دليل على تحريم بيع الحوار (الحاشي ما بين ٣-٧ أشهر) ما لم تكن هناك ضرورة؟
- ٣- كيف يتم التصرف في رقبة الإبل (الكبيرة) ما دام الأطباء ينصحون بترك أكلها؟

جزاكم الله خيراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المحب لفضيلتكم حمد بن الشحات محمد

القصيم - بريدة ص.ب ١٧٢٦ - ف-٠١٢٢٢٦٧٥٨

□ الشيخ الفاضل صالح لا عدمناكم تبينون لنا عوار اللغة المختلطة والمولدة فإذا ذهب السابقون بما سبقوا فلدينا اللاحقون بما جددوا أستاذنا لي تهميش بسيط حول ما تورّدونه أحياناً من قولكم عن بعض الألفاظ (سماعي.. وقياسي) وذكرتم في بعض مواطن المعجم الذي تنشره الثقافية مشكورة: أن: (أيش هذا: أي. ش. هـ. ن. ا) لغة قليلة، وأن: أبهر سماعي، والذي أبينه حسب ما وقعت عليه أن (أيش هذا..) ليست لغة قليلة وردت كثيراً في الشعر الجاهلي والخطب، ولا غبار على: (هذا..) (وأبهر) قياسية لكن دخلها السماع بعد دخول.. الموالي.. ما بين عامي ١٥٠ هـ حتى ٣٠٠ هـ. وإمامتكم وسبقكم سبق الاعتذار، وهذا اجتهاد لا أدري هل أصبحت فيه أم أخطأت.

عبدالله بن بكر بن هوساوي الحيدري - جدة

- الرأي: بل أصبت في المداخلة وأن أول سمات العلم والعقل الرشيد إنما ذلك يكون ببيان ما حصل من زلل غير مقصود.

أنا شخصياً أقرأ نتقاً في: المدينة والبلاد فارتاح لطرحة المتسم بسعة البال وبعد المدرك.

شكر الله تعالى مداخلة كريمة.

أما.. (أيش هذا..) فحق ما قلت لكنني لم أزل على سالف قولي عنها أنها قليلة وليتك ذكرت ولو: ثلاث قوائد لثلاثة شعراء ذكروها وقصدي أنها قليلة لأنه يعني عنها غيرها كما أنها من عبارات جنوب شبه الجزيرة وشمالها كبلاد (عُمان) و(اليمن) والشام و(الأردن).

أيّدك الله.

- وأبهر سماعية و(الأبهر) هو طرف الأصبع لكن وروده قليل.

- الرياض

لإبداء الرأي حول هذا المقال، أرسل رسالة قصيرة SMS تبدأ برقم الكاتب «5485» ثم أرسلها إلى الكود 82244